وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ
لَهِىَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى
الْفُلْكِ دَعَوُا۟ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا
هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ
ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ
﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ
لَمَّا جَآءَهُۥ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ
جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

سُورَةُ الرُّومِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ
غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ
مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾
بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾

١٠٤

معانى الكلمات :

لهو ولعب : لذائذ وعبث باطل .

الفلك : السفن .

حرماً آمنا: المراد مكة .

مثوى : مكان يقيمون فيه .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يشعر المؤمن بعظم رابطة الإيمان ، وأنها تعلو ما سواها .

٢ ـ أن يعرف المؤمن مواقف تزيد من إيمانه بربه .

٣ ـ أن يمضى المؤمن فى دعوته واثقًا من نصر الله للمؤمنين .

المحتوى التربوى :

تقرر الآيات أن الحياة الدنيا لعب ولهو حين لا ينظر فيها إلى الآخرة ، ويصحح صاحب **الظلال** خطأ قد يفهم من الآية بقوله : « والقرآن لا يعنى بهذا أن يحض على الزهد فى متاع الحياة الدنيا والفرار منه وإلقائه بعيدًا ، إن هذا ليس روح الإسلام ولا اتجاهه ، بل المقصود هو استعلاء النفس ، وسموها حتى لا تصبح أسيرة لهذا المتاع » .

ثم يعرض النص القرآنى بما يبكت الكافرين بإظهار تناقضهم واضطرابهم بأنهم إذا ركبوا فى الفلك ، وتعرضت سفينتهم للغرق لم يلجؤوا إلى الله ، لينجدهم وينجيهم ، وهذا نداء الفطرة التى تنادى بأن القوة هى قوة الله .

سورة الروم

بدأت السورة بالأحرف المقطعة ﴿ الٓمٓ ﴾ التى اخترنا فى تفسيرها أنها للتنبيه إلى أن هذا القرآن ـ ومنه هذه السورة ، مصوغ من مثل هذه الأحرف ، التى يعرفها العرب ، وهو مع هذا معجز لهم لا يملكون صياغة مثله ، والأحرف بين أيديهم ، ومنها لغتهم .

ثم جاءت النبوءة الخاصة بغلبة الروم فى بضع سنين ، وكانت فارس ظاهرة على الروم ، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم ، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس ؛ لأنهم أهل كتاب ، وهم أقرب إلى دينهم .

تأتى هذه الآيات تطالعنا بالكشف عن مدى ارتباط الشرك بالكفر فى كل وقت وحين ، فكفار مكة سعدوا بانتصار الفرس المشركين على الروم وهم أهل كتاب ، وهذا كان قبل أربعة عشر قرنا والأمم لم تكن وثيقة الارتباط كما هو الشأن فى العصر الحاضر .

يقول صاحب الظلال عن إيحاءات السورة : « ذلك الترابط بين الشرك والكفر فى كل مكان وزمان أمام دعوة التوحيد والإيمان ومع أن الدول قديمًا لم تكن شديدة الاتصال ، والأمم لم تكن وثيقة الارتباط كما هو الشأن فى عصرنا الحاضر ، مع هذا فإن المشركين فى مكة كانوا يحسون أن انتصار المشركين فى أى مكان على أهل الكتاب هو انتصار لهم ؛ وكان المسلمون كذلك يحسون أن هناك ما يربطهم بأهل الكتاب ، وكان يسوءهم أن ينتصر المشركون فى أى مكان ؛ وكانوا يدركون أن دعوتهم وأن قضيتهم ليست فى عزلة عما يجرى فى أنحاء العالم من حولهم ، ويؤثر فى قضية الكفر والإيمان .

وهذه الحقيقة البارزة هى التى يغفل عنها الكثيرون من أهل زماننا ، ولا ينتبهون إليها كما انتبه المسلمون والمشركون فى عصر رسول الله ﷺ منذ حوالى أربعة عشر قرنًا ، ومن ثم ينحصرون داخل حدود جغرافية أو جنسية ؛ ولا يدركون أن القضية فى حقيقتها هى قضية الكفر والإيمان ؛ وأن المعركة فى صميمها هى المعركة بين حزب الله وحزب الشيطان .

وما أحوج المسلمين اليوم فى جميع بقاع الأرض أن يدركوا طبيعة المعركة ، وحقيقة القضية ؛ فلا تلهيهم عنها تلك الأعلام الزائفة التى تتستر بها أحزاب الشرك والكفر ، فإنهم لا يحاربون المسلمين إلا على العقيدة ، مهما تنوعت العلل والأسباب » .

فالقضية إذن هى قضية عقيدة ، هو صراع بين الكفر والإيمان ، وعلى المسلمين أن ينتبهوا لذلك كما انتبهوا فى عصر الرسول ﷺ ، ولا ينحصروا داخل حدود جغرافية أو جنسية .

وكما يقول صاحب الظلال : « وما أحوج المسلمين اليوم فى جميع بقاع الأرض أن يدركوا طبيعة المعركة، وحقيقة القضية ، فلا تلهيهم عنها الأعلام الزائفة التى تتستر بها أحزاب الكفر ؛ فإنهم لا يحاربون المسلمين إلا على العقيدة مهما تنوعت الأسباب والعلل » .

إيحاء يؤخذ من قول الله تعالى : ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾ قضية تقرير للحقيقة الكلية التى هى ميزان كل موقف فى النصر والهزيمة ، وظهور الدول ودثورها ، وضعفها وقوتها .

ويعلق صاحب الظلال على قوله تعالى : ﴿ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ فيقول : « فالأمر له من قبل ومن بعد وهو ينصر من يشاء ، لا مقيد لمشيئته سبحانه ، والمشيئة التى تريد النتيجة هى ذاتها التى تيسر الأسباب ، فلا تعارض بين تعليق النصر بالمشيئة ووجود الأسباب ، والنواميس التى تصرف هذا الوجود كله صادرة عن المشيئة الطليقة ، وقد أرادت هذه المشيئة أن تكون هناك سنن لا تتخلف ؛ وأن تكون هناك نظم لها استقرار وثبات ، والنصر والهزيمة أحوال تنشأ عن مؤثرات ، وفق تلك السنن التى اقتضتها تلك المشيئة الطليقة .

والعقيدة الإسلامية واضحة ومنطقية فى هذا المجال ، فهى ترد الأمر كله إلى الله ، ولكنها لا تعفى البشر من الأخذ بالأسباب الطبيعية التى من شأنها أن تظهر النتائج إلى عالم الشهادة والواقع ، أما أن تتحقق تلك النتائج فعلاً أو لا تتحقق فليس داخلاً فى التكليف ، لأن مرد ذلك فى النهاية إلى تدبير الله ، ولقد ترك الأعرابى ناقته طليقة على باب مسجد رسول الله ﷺ ـ ودخل يصلى قائلاً : « توكلت على الله » فقال له رسول الله ﷺ : « اعقلها وتوكل » ، فالتوكل فى العقيدة الإسلامية مقيد بالأخذ بالأسباب ، ورد الأمر بعد ذلك إلى الله .

﴿ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ..

فهذا النصر محفوف بظلال القدرة القادرة التى تنشئة وتظهره فى عالم الواقع ؛ وبظلال الرحمة التى تحقق به مصالح الناس ؛ وتجعل منه رحمة للمنصورين والمغلوبين سواء ، ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ (البقرة : ٢٥١) وصلاح الأرض رحمة للمنتصرين والمهزومين فى نهاية المطاف » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ بيان أنه لا منجاة إلا باللجوء إلى الله.

٢ ـ أن يتذكر المؤمن دائمًا رحمة الله بعباده المؤمنين .

٣ ـ الإيمان بقدر الله وقضائه ، وأن الأمور تجرى بتقديره وعلمه .

وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ
﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ
بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً
وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ
أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ
يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ
ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ
شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ
تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾
٤٠٥

معانى الكلمات :

عاقبة : نهاية ومصير .

أثاروا الأرض: أثروا فيها زراعة وصناعة .

البينات : المعجزات .

السوأى : أسوأ عاقبة .

الساعة : القيامة .

يبلس المجرمون : ييأس المجرمون .

روضة : بستان حسن .

يحبرون : يسرون .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يشعر المؤمن بقيمة التفكر فى الكون ، وأحوال الأمم التى أهلكها الله .

٢ ـ أن يعرف مظاهر إعجاز الله فى الكون ، وقصص الأقوام التى أهلكت بظلمها وكفرها .

٣ ـ أن يكثر من التفكر والتدبر .

المحتوى التربوى :

تشير الآيات لقدرة الله المطلقة وارتباط ذلك بالإيمان ، فالمؤمن بالله يطلعه الله على ظواهر فى الكون ، ذلك أن الإنسان خلق ضعيفاً ، وعلمه سطحى ، فالكون تحكمه نواميس وسنن مستكنة فى كيان هذا الوجود وتركيبه ، **ويقول صاحب الظلال** : « والذى لا يتصل قلبه بضمير ذلك الوجود ، ولا يتصل حسه بالنواميس والسنن التى تصرفه ، يظل فينظر وكأنه لا يرى ، ويبصر الشكل الظاهر والحركة والدائرة ، ولكنه لا يدرك حكمته ، لأن الإيمان الحق هو وحده الذى يصل ظاهر الحياة بأسرار الوجود ، والمؤمنون هذا الإيمان قلة من الناس ، ومن ثم تظل الأكثرية محجوبة عن المعرفة الحقيقية » .

وإدراك الآخرة كما تسوق الآيات مبنى على نظرة الإنسان الصحيحة لكل ما على الأرض ، فالآخرة حلقة فى سلسلة النشأة ، وصفحة من صفحات الوجود الكثيرة ، والذين لا يدركون حكمة النشأة ، ولا يدركون ناموس الوجود يغفلون عن الآخرة ، ولا يقدرونها قدرها ، ولا يحسبون حسابها ، ولا يعرفون أنها نقطة فى خط سير الوجود ، لا تتخلف مطلقًا ولا تحيد .

والغفلة عن الآخرة تجعل كل مقاييس الغافلين تختل وتؤرجح فى أكفهم ميزان القيم ؛ فلا يملكون تصور الحياة وأحداثها وقيمها تصورًا صحيحًا، ويظل علمهم بها ظاهرًا سطحيًا ناقصًا، لأن حساب الآخرة فى ضمير الإنسان يغير نظرته لكل ما يقع فى هذه الأرض فحياته على الأرض إن هى إلا مرحلة قصيرة من رحلته الطويلة فى الكون ، ونصيبه فى هذه الأرض إن هو إلا قدر زهيد من نصيبه الضخم فى الوجود ، والأحداث والأحوال التى تتم فى هذه الأرض إن هى إلا فصل صغير من الرواية الكبيرة ، ولا ينبغى أن يبنى الإنسان حكمه على مرحلة قصيرة من الرحلة الطويلة ، وقدر زهيد من النصيب الضخم ، وفصل صغير من الرواية الكبيرة !

ومن ثم لا يلتقى إنسان يؤمن بالآخرة ويحسب حسابها ، مع آخر يعيش لهذه الدنيا وحدها ولا ينتظر ما وراءها ، لا يلتقى هذا وذاك فى تقدير أمر واحد من أمور هذه الحياة ، ولا قيمة واحدة من قيمها الكثيرة ؛ ولا يتفقان فى حكم واحد على حادث أو حالة أو شأن من الشؤون ، فلكل منهما ميزان ، ولكل منهما زاوية للنظر ، ولكل منهما ضوء يرى عليه الأشياء والأحداث والقيم والأحوال .. هذا يرى ظاهرًا من الحياة الدنيا ؛ وذلك يدرك ما وراء الظاهر من روابط وسنن ، ونواميس شاملة للظاهر والباطن ، والغيب والشهادة ، والدنيا والآخرة ، والموت والحياة ، والماضى والحاضر والمستقبل ، وعالم الناس والعالم الأكبر الذى يشمل الأحياء وغير الأحياء .. وهذا هو الأفق البعيد الواسع الشامل الذى ينقل الإسلام البشرية إليه ، ويرفعها فيه إلى المكان الكريم اللائق بالإنسان ، الخليفة فى الأرض ، المستخلف بحكم ما فى كيانه من روح الله .

ويعطى القرآن الوسيلة المثلى لإدراك حقائقه ونواميسه ، وهو التفكر فى الكون ؛ ذلك لأن طبيعة هذا الكون قائمة على الحق ، وميزانه ثابت لا يضطرب ، وكل شىء فيه له أجل مسمى مرسوم ، وكل شىء يأتى فى موعده ، وإذا لم يعلم البشر متى تكون الساعة ، فإن هذا ليس معناه أنها لا تكون ! ولكن تأجيلها يغرى الذين لا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا ويخدعهم : ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴾ .

ثم ينتقل النص القرآنى من الدعوة للتفكر فى المكان إلى التفكر فى الزمان بالتأمل فى مصير الغابرين ، وهم ناس من الناس ، وخلق من خلق الله تكشف مصائرهم الماضية عن مصائر حلفائهم الآتية ، فسنة الله هى سنة الله فى الجميع ، **ويقول صاحب الظلال** : « والقرآن الكريم يدعو المكذبين المستهزئين بآيات الله أن يسيروا فى الأرض ، فلا ينعزلوا فى مكانهم كالقوقعة ، وأن يتدبروا عاقبة أولئك المكذبين المستهزئين ، ويتوقعوا مثلها ، وأن يدركوا أن سنة الله واحدة ، وأنها لا تحابى أحدًا ، وأن يوسعوا آفاق تفكيرهم فيدركوا وحدة البشرية ووحدة الدعوة ، ووحدة العاقبة فى أجيال البشرية جميعًا ، وهذا هو التصور الذى يحرص الإسلام أن يطبع به قلب المؤمن وعقله » .

يقول الإمام الشهيد حسن البنا صاحب مقاصد القرآن الكريم عن الغاية من التفكر : « هذا النظام المعجز والخلق البديع والتكوين الكامل والتصرف العجيب هو تدبير الله وصنعه ، وكذلك يدبر الله أمر الخلق ويذكر لهم الآيات القرآنية لعل ذلك يكشف عن قلوبهم حجب الغفلة ، ويزيل غشاوة الشك والريب ، فإذا أدركوا بعض مظاهر العظمة الربانية اعتقدوا وأيقنوا أن هذه الخالق قادر على إعادتهم وأنهم سيلقونه فيحاسبهم على ما قدموا من الأعمال فى حياتهم الدنيا » .

وبعد هاتين الجولتين فى أغوار الكون وأغوار التاريخ يردهم القرآن إلى الحقيقة التى يغفل عنها الغافلون .. حقيقة البعث والمآب ، وهى طرف من الحق الأكبر الذى يقوم عليه الوجود .

وهى حقيقة ـ البعث والمآب ـ بسيطة واضحة لمن يتفكر فى سنن الله فى خلقه ، ثم الانتقال إلى حقيقة الساعة التى يغفل عنها الغافلون ، ويكذب بها المكذبون ، ها هى ذى تجيء ، ويكون المجرمون فيها حائرين يائسين ، لا أمل لهم فى نجاة ، ولا رجاء لهم فى خلاص ، ولا شفاعة لهم من شركائهم الذين اتخذوهم فى الحياة ضالين مخدوعين ، ويأتى يوم القيامة ولا تبقى إلا رابطة الإيمان، وتنفصم كل الروابط من دون الإيمان، والأخلاء من الكفار يومئذ بعضهم لبعض عدوّ ، أما المؤمنون الذين تفكروا وتدبروا فهم فى النعيم المقيم .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ الثقة بوعد الله ، وأن يمضى المؤمن فى دعوته رابط الجأش ، ثابت القلب .

٢ ـ التفكر فى الكون يقود إلى الإيمان بالله .

٣ ـ وجوب التفكر فى سنن الماضين والعقاب الذى حل بهم .

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ
فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ
وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ
ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ
﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ
تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ
أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ
ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ
وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ
خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِ بِهِ ٱلْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾
٤٠٦

معانى الكلمات :

عشياً : آخر النهار .

تظهرون : تدخلون وقت الظهيرة .

تنتشرون : تتفرقون .

لتسكنوا إليها : لتستريحوا .

البرق : نور يلمع فى السماء .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يشعر المسلم بعظمة خلق الله عز وجل .

٢ ـ أن يعرف بعض جوانب القدرة الإلهية .

٣ ـ أن يزداد المسلم شكراً لله على نعمه الكثيرة .

المحتوى التربوى :

يأتى التعقيب بالتسبيح والحمد بعد مشهد القيامة فى الفقرة السابقة ، ليتعلق المؤمن بالله ، وفى ذلك يقول صاحب **الظلال** : « والنص يربط التسبيح والحمد بالأوقات ، الإمساء والإصباح والعشى والإظهار ، كما يربطهم بآفاق السموات والأرض ، فينقضى بها الزمان والمكان ، ويربط القلب البشرى بالله فى كل بقعة وفى كل أوان ، ويشعر بتلك الرابطة فى الخالق مع هيكل الكون ودورة الأفلاك ، وظواهر الليل والنهار والعشى والإظهار » .

ثم يأتى الإقناع القرآنى بوجود الله وقدرته بذكر خروج الحىّ من الميت وخروج الميت من الحىّ كما قال صاحب **الظلال** : « بتلك العملية الدائبة التى لا تكاد تكف ولا تنى لحظة واحدة من لحظات الليل والنهار فى كل مكان على سطح الأرض ، وفى أجواء الفضاء ، وفى أعماق البحر ، ففى كل لحظة يتم هذا التحول ، ولطول الألفة والتكرار لا يتنبه أحد لهذه المعجزة ، وفى كل لحظة يتحرك برعم ساكن من جوف حية أو نواة ، إنها دورة عجيبة رهيبة لمن يتأملها بالحس الواعى والقلب البصير . إن الآيات رد قاطع يزهق الباطل وأهله الذين ينكرون البعث والحساب والمآب » .

وتطوف الآيات فى مواضع مختلفة لتحرك الذهن لدلائل وجود الله وقدرته وإثبات حقيقة الإيمان بالله ، ومنها التفكر فى خلق الإنسان وانتقاله من صورة التراب الساكن الزهيد إلى صورة

المتحرك الجليل القدر ، نقلة تثير التأمل فى صنع الله ، وتستجيش الضمير للحمد والتسبيح لله ، وتحرك القلب لتمجيد الصانع المتفضل الكريم .

ثم ينتقل السياق القرآنى من مجال الخلقة الأولى لنوع البشر إلى مجال الحياة المشتركة بين جنسى البشر ، فالناس يعرفون مشاعرهم تجاه الجنس الآخر ، وتدفع تلك المشاعر خطاهم نحو أنماط من الاتجاهات المختلفة بين الرجل والمرأة ، ولكن الناس قلما يتذكرون أن يد الله هى التى خلقت لهم من أنفسهم أزواجًا ، وأودعت نفوسهم هذه العواطف والمشاعر ، وجعلت من تلك الصلة راحة للجسم والقلب ، واستقرارا للحياة والمعاش .

ويقول صاحب الظلال عن خلق السموات والأرض : « إن خلق السموات والأرض معناه: إنشاء هذا العدد الضخم من الخلق من أفلاك ومدارات ونجوم وكواكب وسُدم ومجرات ، ومع هذه الضخامة الهائلة نجد التناسق العجيب بين الأفلاك والمدارات والدورات والأفلاك ، ثم يأتى بعض التائهين الضالين المنحرفين ويزعم أن هذا الكون الهائل المنظم الدقيق العجيب وجد واستمر بدون خالق مدبر ، ويجد من يستطيع من يسمع بهذا الهراء من العلماء » .

وقليل من يتنبه لآية اختلاف الناس فى الألسنة والألوان وأقل منهم من يربط ذلك بخلق السموات والأرض ، فإن اختلاف الأجواء على سطح الأرض ، واختلاف البيئات ذلك الاختلاف الناشئ من طبيعة وضع الأرض والفلكى ، ذو علاقة باختلاف الألسنة والألوان ، مع اتحاد الأصل والنشأة فى بنى الإنسان .

ويستمر النص القرآنى فى ربط الظواهر الكونية بعضها ببعض لوصل القلب البشرى بالوجود وخالق الوجود فى الإشارة لخلق الليل والنهار ، ونوم البشر ليلا من عناء الكدّ والكدح الذى بذلوه نهارًا .

ثم يربط القرآن بين الظواهر الكونية والمشاعر والرغبات البشرية من خلال ظاهرة البرق وهذه الظاهرة تثير فى النفس شعورين متضادين هما الخوف من الصواعق ، والطمع فيما يصاحب هذه الصواعق من مطر الذى يبحث فى الأرض حياة ، وفى ذلك كله دعوة للتفكر فى خلق الله .

فى ختام هذا العرض يحسن بنا أن نذكر **ما قاله الإمام الشهيد حسن البنا صاحب مقاصد القرآن الكريم** عن مقصد القرآن فى ذكر المظاهر الكونية فيقول :

جاء القرآن الكريم ذكر السماوات والأرضين والشمس والقمر والسُّحب والأمطار والنبات والحيوان وعجائب الخلق وغرائب المكونات فى كثير من المواطن ، **فهل يريد القرآن بهذا أن** يتناول هذه النواحى بالتحليل العلمى فيوضح للقارئين ما هيتها وعناصرها ويبين لهم وخواصها ويكشف لهم عن أسرار ؟ أم أن القرآن الكريم يعرض لكل هذه الظواهر الكونية لغرض آخر غير هذا التحليل العلمى ؟

لا شك أن القرآن الكريم لم يجيء ليكون كتاب فلك ولا هيئة ولا كيمياء ولا هندسة ولا لغير ذلك من الشئون التى تتناولها العلوم الكونية البحتة ، وإنما جاء ليكون كتاب هداية وإرشاد وتطهير للنفس البشرية وسمو بها إلى الكمال الممكن اللائق ، وإن أشار فى كثير من الأحيان إلى دقائق العلوم الكونية وعجائب النواميس التى تسير عليها المخلوقات ، وإنما جاء القرآن كذلك لحكم جليلة :

منها : أنه إذا تناول حقائق العلوم والمعارف الكونية بالشرح والبيان فقد قطع على العقل البشرى سبيل الرقى وحرمه لذة الجهاد العلمى وقضى على استقلاله وحريته بالجمود والخمود ولم يبق للعلماء فضل على الجهلاء وكان الناس فى المواهب سواء فلن تشهد الإنسانية إلا جيلا واحدا ثم يقضى عليها بعد ذلك بالفناء .

ومنها : أن طبيعة العقل البشرى فى نشوئه وتكوينه لا تقبل هذه الطفرة ولا تحتملها وإنما يسلك العقل البشرى فى النوع الإنسانى مسلكه فى الفرد ، والواحد له أطوار وأدوار ، فهو ينشأ ضعيفا لا يكاد يدرك ما حوله ثم تتسع أمامه آفاق الإدراك وحدوده .

ومنها : أن القرآن الكريم لو عرض لبيان هذه الشؤون كلها واستوعب حقائقها وتفصيلاتها لصعب على الناس حفظه ولمضت الأزمان الطويلة دون استيعابه نزولا أو معرفة ولنسى الناس هديه وإرشاده فإن كثير الكلام ينسى بعضه بعضا ، ولقد يسره الله تعالى وسهله ليكون ذلك أدعى إلى تذكره وأقرب للوصول إلى مقاصده والعمل بما فيه : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (القمر) .

ومن ذلك نستطيع أن نقول : إن القرآن الكريم جاء بهذه الظواهر واستعرضها وعرضها على الناس فى كثير من المواضع لغرض واحد هو :

العبرة والعظة ولفت العقل والقلب إلى ما فيها من جمال وروعة ورقة وإعجاز وإبداع ، لا يكون إلا عن صانع حكيم متصف بالكمالات كلها لا يلحقه نقص ولا يناله قصور جلّ ربنا عن ذلك وتعالى علوا كبيرًا ، يسوق القرآن كل ذلك ليكون سبيلا إلى معرفة الخالق والإيمان بالله ، وفى الوقت الذى يقصد فيه إلى هذا المعنى نجد أن فى ذكر هذه المخلوقات ولفت الأنظار إليها ومطالبة الناس بالتفكير فيها والتصريح بعلو منزلة العلماء بها دفعًا بكل مؤمن أن يتعلم وأن يحيط بأسرار هذا الكون العجيب .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :

١ ـ كثرة التسبيح والحمد لله فى كل مكان وآن .

٢ ـ التفكر فى خلق الله دائمًا .

٣ ـ وجوب شكر الله على هذا النعم قولًا وفعلًا .

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ
دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ
ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ
أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى
مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ
أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾
بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ
أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ
ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟
دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

معانى الكلمات :

قانتون : مطيعون . **له المثل الأعلى** : له الصفات العليا . **أهواءهم** : رغبات نفوسهم . **فاقم وجهك للدين** : اثبت على الدين . **حنيفاً** : مائلا عن الباطل للحق .

فطرة الله : دين الله . **منيبين إليه** : راجعين إليه . **شيعًا** : فرقًا .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يشعر المؤمن بقيمة الاتباع لأوامر الله ، وأن يحذر من شهوات النفس وملذاتها .

٢ ـ أن يعرف المؤمن ثمار اتباع أوامر الله فى كل أموره .

٣ ـ أن يبتعد المؤمن عن الشهوات والأهواء ، وأن يكون محافظًا على عباداته .

المحتوى التربوى :

تمضى الآيات لإثبات البعث والنشور بأن هذا الكون من سمواته وأراضيه قام بأمر الله عز وجل ، وأنه عز وجل قادر على إخراج البشر يوم القيامة للعرض عليه والوقوف أمامه ، ولا يملك أحد ردًا ولا دفعًا لهذا الأمر ، فالكل فى الكون محكوم بالسنة الكونية فى العصاة الذين تعصى قلوبهم ، وتكفر قلوبهم لكن يتصرف فيهم خالقهم وفق ما يريد تصرفه ، وهم لا يملكون إلا الخضوع والقنوت .

وفى كتاب **مقاصد القرآن الكريم** تناول الإمام الشهيد حسن البنا خواطر البعث نذكر منها بتصرف : « فى القرآن الكريم كثير من الآيات المطهرة تؤكد هذه المعانى معانى البعث ، وقد جاءت السنة المطهرة بينة كذلك :

وروى أحمد ورزين بسندهما عن أبى رزين العقيلى قال : قلت : يا رسول الله كيف يعيد الله الخلق ؟ وما آية ذلك ؟ قال : « أما مررت بوادى قومك جدبا ثم مررت به يهتز خَضرًا » قلت: نعم قال : « فتلك آية الله فى خلقه كذلك يحيى الله الموتى » .

بهذا الأسلوب البديع يقرر القرآن الكريم والسنة المطهرة عقيدة البعث فى نفوس الناس وهى أمر مركوز فى هذه النفوس مستقر فيها لا يعجبها عن التسليم به والإذعان له إلا هوى جامح أو شهوة غالبة أو مادية كثيفة أو خَبَلٌ فى التصور والإدراك ، وما أحسن ما قرره الشيخ محمد عبده فى رسالة التوحيد فى هذا المعنى إذ يقول : « اتفقت كلمة البشر موحدين ووثنيين ، مِلّيّين وفلاسفة ـ إلا قليلا لا يقام لهم وزن ـ على أن لنفس الإنسان بقاء تحيا به بعد مفارقة البدن وأنها لا تموت موت فناء وإنما الموت المحتوم هو ضرب من البطون والخفاء ، وإن اختلفت منازعهم فى تصوير ذلك البقاء وفيما تكون عليه النفس فيه ، وتباينت مشاربهم فى طرق الاستدلال عليه .

هذا الشعور العام بحياة بعد هذه الحياة المنبث فى جميع الأنفس عالمها وجاهلها وحشيُّها وإنسيُّها باديها وحاضرها قديمها وحديثها لايمكن أن يعدّ ضلَّةً عقليةً أو نزعةً وهمية ، وإنما هو إلهام من الإلهامات التى اختص بها هذا النوع .

قد ألهمت العقول وأشعرت النفوس أن هذا العمر القصير ليس هو منتهى ما للإنسان فى الوجود، بل الإنسان ينزع هذا الجسد كما ينزع الثوب عن البدن، ثم يكون حيًا باقيًا فى طور آخر، وإن لم يدرك كنهه ، ذلك إلهامٌ يكاد يزاحم البديهة فى الجلاء » . أهـ .

وثَمَّ برهانٌ آخر غير هذا البرهان الفطرى ألفتك إليه وأوجه نظرك نحوه ، ذلك أن نظام هذا الكون وما فيه ومنزلة الإنسان منه يدلك أوضح الدلالة على أن هذه الحياة القصيرة الأمد ـ التى تحسب بأعوام قلائل مهما طالت فهى مدة محدودة وفترة معدودة ـ لا تتناسب أبدا مع الحكمة فى تكوين هذا الإنسان وإبداعه هذا الإبداع وتمييزه بهذا العقل المفكر والفكر المدبر الذى سخر الله له ما فى السماوات وما فى الأرض جميعًا، فإذا انتهت سعادة الحيوان بحصوله على مطالب جسمه، وانتهت سعادة النبات ببلوغه حد نموه ، فإن نفس هذا الإنسان قد خلقت مستعدةً لقبول معلومات غير متناهية من طرق غير محصورة شيقة إلى لذائذ غير محدودة ولا واقفة عند غاية مهيأة لدرجات من الكمال لا تحدها أطراف المراتب والغايات، ومن كان كذلك لا يصح أن يكون بقاؤه قاصرا على أيام أو سنين معدودات .

وللقرآن وسائل شتى لإظهار الوحدانية لله ، ومنها أسلوب ضرب الأمثال ، فالعباد يأبون أن يشاركهم عبيدهم فى مالهم ، وهو ليس مالهم بل المال مال الله ، وهم فى الوقت نفسه يتخذون شركاء من دون الله جنًا أو ملائكة أو أصنامًا أو أشجارًا ، وهو تناقض عجيب من أولئك الكافرين .

وإن العلة الرئيسية فى الشرك لدى هؤلاء الكافرين وهو الهوى الذى لا يستند إلى عقل أو تفكير .

ويقول صاحب **الظلال** : « والهوى لا ضابط له ولا مقياس ، إنما هو شهوة النفس المتقلبة ونزوتها المضطربة،ورغباتها ومخاوفها وآمالها ومطامعها التى لا تستند إلى حق، ولا تقف عند حد، ولا تزن بميزان » . ومعظم الكفر الذى بليت به البشرية كان بسبب شهوات النفس من مال وسيطرة ونفوذ ، ولكنه الضلال الذى لا يرجى معه هدى، والشرود الذى لا ترجى معه أوبة .

وكان التعقيب القرآنى للتحذير من الأهواء ، وهو إقامة الدين الخالص لله عز وجل ، فهذا الدين هو العاصم من الأهواء المتفرقة التى لا تستند على حق ، ولا تستمد من علم ، إنما تتبع الشهوات بغير ضابط ولا دليل .

إن فطرة النفس البشرية تتوافق مع طبيعة هذا الدين ، وكلاهما من صنع الله ، وكلاهما موافق لناموس الوجود ، وكلاهما متناسق مع الآخر ، فإذا انحرف عن الفطرة لم يردها إلا الدين . وهو الإنابة إلى الله للنجاة من كل انحراف .

وتسوق الآيات الأوامر الربانية بتقوى الله فى كل أمر من أموره ، وإقامة الصلاة وهى صلة بين العبد وربه تكفل له لو أدى أركانه ألا يزيغ عن الفطرة ، وألا يرتكس فى مهاوى الضلال . وهى علامة التوحيد الخالص لله عز وجل، وهو أساس الفطرة السليمة وحماية لها من الأهواء التى تجرفها إلى تيارات الشرك بالله .

ويعرض صاحب **الظلال** أنماط الشرك وألوانه :«منهم من يشركون الجن،ومنهم من يشركون الملائكة ، ومنهم من يشركون الأجداد والآباء ، ومنهم من يشركون الملوك والسلاطين ، ومنهم من يشركون الكهان والأحبار ، ومنهم من يشركون الليل والنهار ، ومنهم من يشركون القيم الزائفة . والرغائب والأطماع ، ولا تنتهى أنماط الشرك وأشكاله » .

ولا يغرنّ المؤمنين فرح أهل الشرك بشركهم،وجدهم فى باطلهم ذلك بأنهم اتبعوا أهواءهم ، وهم الأخسرون أعمالاً الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، أما المؤمنون فلهم الدين القيم واحد لا يتبدل ولا يتفرق لا يقود أهله إلا إلى الله الواحد ، الذى تقوم السموات والأرض بأمره ، وله من فى السموات والأرض كل له قانتون .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ العاقلون وحدهم الذين ينظرون ويفكرون فى مخلوقات الله وتنوعها ، وفوائدها .

٢ ـ الدين الإسلامى هو دين الفطرة السلبية .

٣ ـ الحذر من اتباع الأهواء والمطامع والشهوات .

٤ ـ الحرص على إقامة العبادات من فرائض ونوافل .

وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

معانى الكلمات :

منيبين إليه : راجعين إليه . **رحمة** : خيرًا وخلاصًا من الضر . **يقنطون** : ييأسون .

يقدر : يضيق . **آيات** : عظات ودلائل .

فلا يربو عند الله : لا يباركه . **المضعفون** : الذين يضاعف الله حسناتهم .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يشعر المؤمن بفضل الله عز وجل دائماً ، واطلاعه عليه .

٢ ـ أن يعرف المؤمن كيف يقابل ويشكر نعم الله التى أفاءها علينا .

٣ ـ أن يكثر المسلم من الإنفاق فى سبيل الله .

المحتوى التربوى :

تعرض الآيات صورة لتقلب الأهواء البشرية أمام ثبات السنن ، ووهن عقائد الشرك أمام قوة الدين القيم ، ونرى فيها نفوس البشر فى السراء والضراء عند بسط الرزق وقبضته أن النفوس البشرية تضطرب فى تقديراتها ، وتصوراتها ما لم تستند إلى ميزان الله الذى لا يضطرب أبدًا .

وها هى الآيات تأتى بالدليل على وجود فطرة الإيمان بالله فى كونه بأنه عند كل شدة ومحنة تدعو الله عز وجل ، ولكن ما إن تنكشف الغمة وتنفرج الشدة تستولى الأهواء على أصحاب النفوس ، وتنحرف عن طريق الفطرة وتتبع الشرك وأهله .

موقف آخر يعرض ضعف النفس البشرية البعيدة عن الله التى لا ترتبط بخط ثابت تقيس إليه أمرها ، فهى تفرح بالرحمة فرح البطر الذى ينسيها مصدرها وحكمتها ، ولا تشكر المنعم ثم إذا شاءت إرادة الله بسلب النعمة قنطت تلك النفس من رحمة الله ولا تعرف حكمته .

أما القلب المؤمن فلا يبطر عند البسط ، ولا يقنط عند القبض ، بل يعلم أنها أحوال تتعاور الناس وفق حكمة الله ، وفيها للقلب المؤمن دلالة على أن مرد الأمر كله لله .

وإذا كان الله هو الباسط فهو الذى يوضح للناس السبيل الأقوم لتربو أموالهم بأن يعطوا قسمًا منها لفئات من الناس وهم ذو القربى والمساكين وابن السبيل ـ كانت لم تكن فرضت حينئذ، وذلك كله فى إطار الفهم العام للنظرية الاقتصادية فى الإسلام ، وأساس هذه النظرية أن المال مال الله بما أنه الرازق به، وأن لفئات من المحتاجين حقًا فيه مقررًا لهم من صاحب المال الحقيقى، يصل إليهم عن طريق واضع اليد على هذه المال ، فالوسيلة المضمونة لمضاعفة المال : إعطاؤه بلا مقابل وبلا انتظار رد ولا عوض من الناس ، إنما هى إرادة وجه الله ، فالله هو الذى يعطى ويمنع وهو الذى يضاعف للمنفقين ابتغاء وجهه ، وهو الذى ينقص المال للمرابين الذين يبتغون وجوه الناس .

وعن مقصد الإسلام فى الإنفاق نورد هنا ما ذكره الإمام الشهيد حسن البنا فى **مقاصد القرآن**: ولا شك أن القرآن بسياسته هذه فى الإنفاق قد أقام الاقتصاد الاجتماعى على المزج بين أصلين أساسيين أولهما : الاعتراف بمواهب الفرد وحقه فى ثمرات كسبه وعدم الحد من جهوده فى هذه السبيل ما دام يكتسب من حلال طيب لا إثم فيه ولا عدوان ، وهذا هو الأساس الذى قام عليه النظام الذى يسمونه فى هذا العصر (بالرأسمالية) وهو وحده لا يؤدى إلى صلاح المجتمع أو استقرار الأمور بين الناس على وفاق وصفاء فكان لا بد من المزج بينه وبين الأصل الثانى وهو : تقرير حق المجتمع فى كسب الفرد ووجوب التكافل بين أبناء الأمة الواحدة وهو الأساس الذى قام عليه النظام الذى يسمونه فى هذا العصر (بالشيوعية) وهو وحده لا يؤدى كذلك إلى صلاح المجتمع أو استقرار الأمور فيه بين الناس على وفاق وصفاء فكان لا بد من المزج بينه وبين الأصل الأول.

فجاء نظام القرآن بهذا المزج بين أفضل ما فى النظامين .

كما لاحظ الإسلام بأوضاعه الاقتصادية الدقيقة فى الكسب والإنفاق التقريب بين الطبقات بحيث ضاقت الشُّقَّةُ بين الثروة والفقراء إلى أقصى حد .

فمن حيث الأغنياء : حدد أمامهم أبواب الكسب ، وفتح لهم أبواب الإنفاق ، وفرض عليهم الزكاة وحرم الربا وحيل بينهم وبين مظاهر التلاف ولم تعتبر ثروتهم فى عرف المجتمع الإسلامى مظهرًا من مظاهر التميز والاستعلاء ، وأنذروا بأشد الوعيد فى الدنيا والآخرة إذا لم يؤدوا حق الله والناس فى المال .

ومن حيث الفقراء : رفع عنهم معنى النقص الاجتماعى بسبب الفقر وفرض عليهم العمل وفتح أمامهم أبوابهم وجُعِلُوا عند العجز فى ضمان الأقرباء أولاً والأغنياء من الأمة ثانيًا ، وبيت

مال الدولة ثالثًا ، وتقرر بالتشريع حقهم المعلوم فى أموال الأثرياء ، ثم ألزمت الدولة بعد ذلك بملاحظة هذا التوازن والمبادرة إلى المحافظة عليه كلما عرضت له عوارض الاختلال ، ووضعت فى يدها كل السلطات التشريعية والتنفيذية اللائقة لإصلاح الحال ، وليس بعد ذلك زيادة لمستزيد ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا .

ثم ينتقل السياق لمعالجة قضية الشرك وهو إقناع بوجوب الإيمان بالله ، **فيقول صاحب الظلال** : « يواجههم بأن الله هو الذى خلقهم ، وأنه هو الذى رزقهم ، وأنه هو يميتهم ، وأنه هو يحييهم ، فأما الخلق فهم يقرون به ، وأما الرزق فهم لا يملكون أن يزعموا أن آلهتهم المدعاة ترزقهم شيئاً » .

يقول صاحب الأساس : « بمناسبة قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ﴾ **قال ابن كثير** : روى الإمام أحمد ، عن حبة وسواء ابنى خالد قال : دخلنا على النبى ﷺ وهو يصلح شيئاً فأعناه فقال : « لا تيأسا من الرزق ما تهزهزت رؤوسكما،فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشرة،ثم يرزقه الله عز وجل».

وتكشف الآيات عن ارتباط الإيمان بأعمال الناس ، وارتباط ذلك بالرزق ، وأن كثيرًا من الرزق قد حُرمه البعض لفسادهم ، وكثيرًا من العذاب قد وقع على الناس بسبب تماديهم فى الغى والضلال .

ويقول صاحب الأساس فى قوله تعالى : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾ « أن فى الآية اتجاهين :

الأول : أن المراد بالفساد هنا هو ما يترتب على المعاصى والشرك من آثار سيئة ثمرتها العذاب والحياة النكد .

الثانى : أن المراد به نقص البركات فى البر والبحر » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ معرفة الله عز وجل فى الرخاء والشدة .

٢ ـ الإيمان بأن الله هو الرازق لعباده دائماً .

٣ ـ الإنفاق فى سبيل الله دائما هو الذى يربى الأموال ويزيدها .

٤ ـ الامتناع عن المعاصى والإقبال على الطاعات هو السبيل لجلب الرحمة ودفع الغضب .

معانى الكلمات :

عاقبة : مصير ونهاية .

لا مرد له: لا يقدر أحد على رده .

يصدعون : يتفرقون .

تثير سحابا : تحرك سحابا .

فيبسطه : ينشره .

كسفًا : قطعا متفرقة .

الودق : المطر .

مبلسين : يائسين .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يعلم المسلم جوانب رحمة الله لعباده .

٢ ـ أن يشعر المسلم بمعية الله لعباده المؤمنين .

٣ ـ أن يجتهد المسلم فى عبادته لربه .

المحتوى التربوى :

يمضى السياق القرآنى لينبه الناس بما حل بالماضين الذين اتبعوا أهواءهم بغير علم ، فأباد الله قراهم ، ونزل بساحتهم العذاب وأضحت أثرًا بعد عين ، كما أن بالآيات صبرًا وعزاء للمؤمنين بأن يثبتوا على الحق وإن كانوا قلة ، فأكثر الناس مشركون .

ولأن النفوس البشرية تستلفتها الأشياء المادية ، يحسون بها فى محيط حياتهم ، فجاء القرآن بآيات تربط هذه النفوس بالخالق عز وجل وبين جزاء الآخرة ، ونصيب المؤمنين والكافرين فيها ، ويحذرهم من يوم لا مرد له من الله ، يوم يتفرقون فريقين : ﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ فالذى يعمل العمل الصالح إنما يمهد لنفسه ويهيئ أسباب الراحة فى ذات اللحظة التى يقوم فيها بالعمل الصالح لا بعدها ، وما يستحق أحد من بنى آدم الجنة بعمله ، وما يبلغ مهما عمل أن يشكر الله على جزء من فضله ، إنما هو فضل الله ورحمته بالمؤمنين ،

وكراهيته سبحانه للكافرين ، ودلائل قدرته فى الكون مثل إرسال الله للرياح مبشرات بهبوط الغيث إليهم ولتسير سفنهم ، وليبتغوا من فضل الله وخيره ، وكما أن إرسال الرياح رحمة ، كذلك إرسال الرسل رحمة لهم بل هى رحمة أعظم وأجل ، لكن الناس تجاه هذه الرحمة غافلون تستلفتهم المنافع الدنيوية .

ـ كما يقول صاحب الظلال : « وقفوا فريقين : مجرمين لا يؤمنون ، ولا يتدبرون ، ولا يكفون عن إيذاء الرسل والصد عن سبيل الله، ومؤمنين يدركون آيات الله، ويشكرون رحمته ويثقون بوعده، ويحتملون من المجرمين ما يحتملون ، ثم كانت العاقبة التى تتفق مع عذاب الله ووعده الوثيق ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ » .

ويمتلئ القرآن بآيات البشارة بنصرة المؤمنين لكن ولماذا يبطئ هذا النصر أحياناً ؟ ، يقول صاحب الظلال : « هذا .. فى تقدير البشر لأنهم يحسبون الأمور بغير حساب الله ، ويقدرون الأحوال لا كما يقدرها الله ، والله هو الحكيم الخبير ، يصدق وعده فى الوقت الذى يريده ويعلمه، وفق مشيئته وسنته ، وقد تتكشف حكمة توقيته وتقديره للبشر، وقد لا تتكشف ، ولكن إرادته هى الخير وتوقيته هو الصحيح » .

ثم يأتى القرآن بالدليل على أن نصر الله قادم ـ وإن تأخر عند البشر فقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ بعدها قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

ثم جاء قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ .

إن الآية الأولى والثالثة واضحة ، ولكن لم وجدت الآية الوسطى بينهما ؟

يقول صاحب الأساس : « إن الآيتين تضيئان على الآية التى وجدت بينهما ، فنفهم من ذلك أنه كما أن المطر تسبقه رياح مبشرات . وقد يأتى بعد احتباس ـ فكذلك نصر الله يأتى بعد ترقب واحتباس ، وإذ أخذ الله على اليائسين من رحمته يأسهم فى موضوع المطر ، فقد أعطى الله درساً للمؤمنين بألا ييأسوا من النصر دون أن يخاطبهم بذلك مباشرة ، وعلى هذا فما ذكره الله عز وجل فى سورة البقرة ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (البقرة : ٢١٤) صراحة قد ذكر الله به المؤمنين هنا بشكل ضمنى » .

وفى هذا المقام يذكر الإمام الشهيد حسن البنا بعض مقاصد القرآن فى ذكر الآيات الكونية فيما يلى :

١ ـ ليست مهمة القرآن شرح بحوث هذه العلوم تفصيليا ، وإنما ترك ذلك للعقل الإنسانى يكشف فى كل طور من أطوار رقيه وكماله جزءا منه يتناسب مع مقدرته وما أتيح له من وسائل البحث والإدراك السليم .

٢ ـ إنما عرض القرآن لما عرض له من هذه البحوث تنبيها لما فيها من دقة الصنع وجمال الإبداع ليكون ذلك حافزا إلى معرفة الله وصدق الإيمان به كما يكون حافزا إلى دوام البحث والنظر كذلك .

٣ ـ إن هذا لم يمنع القرآن الكريم من أن يتعرض لكثير من النواميس الدقيقة فى هذه العلوم إرشادًا للخاصة من الناس وإثباتًا لنسبة هذا الكتاب الكريم إلى العليم الحكيم .

٤ ـ كان أسلوب القرآن فى التكلم عن هذه المظاهر الكونية أسلوبا معجزا حقا ..فيه جمال وفيه دقة وفيه وضوح إلى جانبها فهو يرضى النفس الفطرية كما يشبع نهمة الفكرة العلمية كما لا يمكن أبدًا أن يصطدم فى مرونته وسعة معانى ألفاظه بنتائج البحث العلمى أيا كان فى أى عصر من العصور وهذا من أبلغ وجوه إعجاز القرآن .

ويذكر الإمام الشهيد حسن البنا فى مقاصد القرآن الكريم ملمحًا آخر فى ذكر الآيات فيقول :

ولعل من نافلة القول أن نذكر أن ورود هذه الآيات بهذا الأسلوب فى القرآن أكبر دافع للمسلمين إلى أن يدرسوا هذه العلوم ويستبُحروا فى دراستها فهى وسيلتهم إلى معرفة الله تبارك وتعالى ، وقد اعتبر الإسلام التفكر والتبحر فى دراسة أسرار الكون عبادة لا تَعدلُها عبادة ، وهم بذلك يستطيعون أن يدفعوا عن دينهم شبهات بعض الذين عرفوا قشورا من هذه المعارف ثم راحوا يهاجمون بها العقائد مخادعين بأن العلم يناقض الدين وهو كلام كاذب لا حجة عليه ، بل إن معرفة الكون هى الوسيلة الصحيحة لمعرفة الله فى إن القرآن بهذا الأسلوب البديع الفريد قد ربط بين القلب المؤمن والعقل المفكر وآخى بذلك بين الدين والعلم ، وهذا أقصى ما وصل إليه الاجتماعيون والمدربون من سمو الغاية ونبل المقصد قد سبقهم به الإسلام بعدد عظيم من الأجيال يتبرم كثير من الشبان العصريين بالطقوس . ويرى هذا الفريق من الشبان أن هذا الوجود هو أقدسُ سفّر يتلو فيه الإنسان آيات عظمة الله تبارك وتعالى وهم لذلك يرددون آثار شعراء الغرب الذين تناولوا الكون بالوصف الرائع البديع هذا الفريق من الشباب لو قرأوا القرآن الكريم ودرسوا الدين الإسلامى الحنيف لوجدوا فيه فوق ما يتصورون من تغذية العقول والأرواح بالتأمل فى خلق الله تبارك وتعالى والتفكر فى كونه ومخلوقاته ، ولوجدوا فى ذلك حياة أرواحهم وسعادة أنفسهم ، فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها ؟ إن ذلك لمحيى الموتى وهو على كل شىء قدير .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ وجوب التفكر فى سير الماضين وما حل بهم ، ومعرفة أسباب ذلك .

٢ ـ التمتع بنعم الله فى الكون وشكر الله عليها .

٣ ـ ترك اليأس والقنوط ، والتفكر فى خلق الله عز وجل .

وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

٤١٠

معانى الكلمات :

مدبرين : منصرفين .

شيبة : نهاية الكبر .

ما لبثوا : ما مكثوا .

يستعتبون : لا يرجعون إلى الدنيا ؛ لأن الآخرة دار جزاء وليست دار عمل .

ضربنا : بينا .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يشعر المؤمن بعظمة قدرة الله فى نفسه وبدنه .

٢ ـ أن يعرف المؤمن إعجاز القدرة لله فى تغير البدن من الضعف للقوة ثم للضعف .

٣ ـ أن يكثر المسلم من العبادة ، ويؤدى شكر نعم ربه .

المحتوى التربوى :

تمضى الآيات لتصور حال الكفار ، وقد انخلعت قلوبهم هلعًا فيكفرون سخطًا ويأسًا ؛ لأن الكافر قد رين على قلبه ، ولا يؤمن بقدر الله ، ولا يهتدى ببصيرته إلى حكمة الله فى تدبيره ، لا يرى من وراء الأحداث يد الله التى تنسق هذا الكون كله ، وتقدر كل أمر ، وكل حادث .

وإن من لا يرون آيات الله فى خلقه هم موتى لا حياة فيهم ، صم لا سمع لهم ، عمى لا يهتدون للطريق ، والذى ينفصل حسه عن الوجود فلا يدرك نواميسه وسننه ميت لا حياة فيه ، إنما هى حياة حيوانية ، بل أضل وأقل ، فالحيوان مهدىّ بفطرته التى قلما تخونه ، والذى لا يستجيب لما يسمع من آيات الله ذات السلطان النافذ فى القلوب أصم ، ولو كانت له أذنان

تسمعان ذبذبة الأصوات ، والذى لا يبصر آيات الله المبثوثة فى صفحات الوجود أعمى ولو كانت عينان كالحيوان .

ثم ينتقل السياق القرآنى لجولة جديدة لا فى الكون المشاهد بل فى النفس البشرية ، وتأمل أحوالها وانتقالها من حالة ، إلى حالة من حالة الضعف ، ثم للقوة ثم للضعف مرة أخرى ، إنها جولة مريرة ، يرون أوائلها فى شهود حياتهم، وهى جولة موحية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

ويقول صاحب **الظلال** : « الشيخوخة انحدار إلى الطفولة بكل ظواهرها ، وقد يصاحبها انحدار نفسى ناشئ عن ضعف الإرادة حتى ليهفو الشيخ أحياناً كما يهفو الطفل ، وإن هذه الأطوار لا يفلت منها أحد من أبناء الفناء ، ولا تبطئ مرة فلا تجيء غير فى موعدها المضروب ، إن هذه الأطوار التى تتعاور تلك الخلية البشرية لتشهد بأنها فى قبضة مدبرة ، تخلق ما تشاء ، وتقدر ما تشاء ، وترسم لكل مخلوق أجله وأحواله ، وأطواره ، وفق علم وثيق ، وتقدير دقيق » .

والسياق القرآنى يعرض موقفين متقابلين ، موقف المجرمين بين يدى الله وهم يقسمون أنهم ما لبثوا فى الحياة الدنيا غير ساعة وبطلت حساباتهم ، واختلت موازينهم ، أما المؤمنون أولو العلم الذين فهموا آيات الله فى الكون وتقدير الله للأشياء ، فآمنوا بيوم البعث واستجابوا لكل داع ونذير .

يوم القيامة يوم الحساب ، لا يقبل من الكفار اعتذارهم ، فإن الله ضرب لهم الأمثال فى القرآن ، خاطبهم بكل نمط من أنماط الخطاب ، وفيه كل وسيلة لإيقاظ القلوب والعقول ، وفيه شتى اللمسات الموحية العميقة التأثير ، فهو يخاطب كل عقل ، وكل بيئة ، وكل محيط ، يضرب الأمثلة للنفس البشرية فى كل حالة من حالاتها ، ينوع وينقل الطرف فى العالم الأكبر والعالم الأصغر وكان رد الكافرين على هذا هو التكذيب والتطاول ، وصدهم عن السبيل بهذا أطمس قلوبهم وأعمى بصائرهم عن رؤية الحق .

ويمضى السياق يتحدث عن القرآن ، فهو حجة الله البالغة على العباد .

يقول صاحب **مقاصد القرآن الكريم** : « وأعتقد أن أهم الأغراض التى تجب على الأمة الإسلامية حيال القرآن الكريم ثلاثة مقاصد :

أولها : الإكثار من تلاوته ، والتعبد بقراءته ، والتقرب إلى الله تبارك وتعالى .

ثانيها : جعله مصدرًا لأحكام الدين شرائعه ، منه تؤخذ وتستنبط وتستقى وتتعلم .

ثالثها : جعله أساسًا لأحكام الدنيا ؛ منه تستمد وعلى مواده الحكيمة تطبق .

وتلك أهم المقاصد والأغراض التى أنزل الله لها كتابه وأرسل به نبيه ، وتركه فينا من بعده واعظًا مذكرا وحكمًا عدلا وقسطاسًا مستقيما،ولقد فهم السلف رضوان الله عليهم هذه المقاصد، ولقد كان بعضهم إذا شغل عن ورده من القرآن نظر فى المصحف وقرأ بعض الآيات الكريمة ، وقال : حتى لا أكون من اتخذ القرآن مهجورًا ، فكان القرآن ربيع قلوبهم وورد عبادتهم يتلونه آناء الليل وأطراف النهار » .

فلا يجزعن الدعاة إلى الله من وعورة الطريق فكان الأمر من الله عز وجل بالصبر .. **ويقول صاحب الظلال** : « إن الصبر وسيلة المؤمنين فى الطريق الطويل الشائك الذى قد يبدو أحياناً بل نهاية ! والثقة بوعد الله الحق والثبات بلا قلق ولا زعزعة ولا حيرة ولا شكوك ، الصبر والثقة على الرغم من اضطراب الآخرين ، ومن تكذيبهم للحق وشكهم فى وعد الله ، ذلك أنهم محجوبون عن العلم ، محرومون من أسباب اليقين ، فأما المؤمنون الواصلون الممسكون بحبل الله فطريقهم هو طريق الصبر والثقة واليقين » .

والصبر يكون على أشياء كثيرة ، الصبر على شهوات النفس ورغائبها ، وأطماعها ومطامحها ، وضعفها ونقصها ، وعجلتها وملالها من قريب ! والصبر على شهوات الناس ونقصهم وضعفهم وجهلهم وسوء تصورهم ، وانحراف طباعهم ، وأثرتهم ، وغرورهم ، والتوائهم ، واستعجالهم للثمار ! والصبر على تنفج الباطل ، ووقاحة الطغيان ، وانتفاش الشر ، وغلبة الشهوة ، وتصعير الغرور والخيلاء ! والصبر على قلة الناصر ، وضعف المعين ، وطول الطريق ، ووساوس الشيطان فى ساعات الكرب والضيق ! والصبر على مرارة الجهاد لهذا كله ، وما تثيره فى النفس من انفعالات متنوعة ، من الألم والغيظ ، والحنق ، والضيق ، وضعف الثقة أحيانًا فى الخير ، وقلة الرجاء أحيانًا فى الفطرة البشرية ، والملل والسأم واليأس أحيانًا والقنوط ! والصبر بعد ذلك كله على ضبط النفس فى ساعة القدرة والانتصار والغلبة ، واستقبال الرخاء فى تواضع وشكر ، وبدون خيلاء وبدون اندفاع إلى الانتقام ، وتجاوز القصاص الحق إلى الاعتداء ! والبقاء فى السراء والضراء على صلة بالله ، واستسلام لقدره ، ورد الأمر إليه كله فى طمأنينة وثقة وخشوع .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ ثبات المؤمن مع الله فى السراء والضراء .

٢ ـ التأمل فى النفس البشرية وأحوالها والإيمان لله عز وجل .

٣ ـ استحضار موقف القيامة فى النفس والعمل له .

٤ ـ الصبر فى الدعوة إلى الله دائمًا .